قراءة في ديوان ﴿ وحي الحرمان ﴾
للشاعر ﴿ عبد الله الفيصل ﴾

بقلم الدكتور /

محمود محمد لبدة

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان " وحى الحرمان " للشاعر " عبد الله الفيصل " قصيدة شعرية مختلفة الأنغام ، مؤتلفة النظام ، فيه من قوة الفكرة والعاطفة والعبارة ، ومن لطائف الصور ، ودقائق الإشارة ، ما يجعل القارىء الواعى فى حيرة من أمره ، إذا هو حاول الموازنة بينه وبين قصائد أخر لشعراء آخرين تتفق معه فى الفكرة والموضوع ، وفى مأزق حقيقى إذا هو حاول تحليل عناصر الأسلوب إلى موادها الأولية ، لأنه يلمس شغاف القلوب ، ويحرك أوتار الأحاسيس ، ويملك أقطار النفوس ، بما تحويه التركيبة الأسلوبية من معان تمثل الحيوية الدافقة فى ذروة فورتها ومتعة الروح فى أوج ثورتها ، والإنسانية الجامعة بين التطلع إلى الحياة فى أفقها الواسع الرحيب ونداءات الروح فى عليا سمائها ، وجلال مقاصدها ، وإن شئت قل : الإنسانية الجامعة فى اعتدال بين الواقعية والمثالية .

فقراءات الشاعر التى عوضته كثيرا عما فقده من استكمال الدراسة النظامية التى تؤهله للحصول على شهادة عالية ـ كما حدث عن نفسه فى مقدمة ديوانه ـ لم ترسب فى الذاكرة تلك البئر العميقة كما يسميها النقاد ، لتخرج بعد ذلك فى أى صورة من صور المتح ، أو لتفرض نفسها فى أى شكل من أشكال التصوير وإنما استقرت فى أعماق وعيه ، ثم دارت دورتها فى جهاز التوليد الفنى عنده ، ثم خرجت وعليها طابعه وظرفه ، قد انبث بصره الشعرى فى كل معنى ، وتمدد فى كل فكرة ، حتى يشعر القارىء أنه لا يطالع معاني مكتوبة ، وإ

وبرمق إبداعا ، شعاعا جادت به قريحة سمحة ، وبصيرة نيرة ، وذوق سليم ، وإبداعا من مساقط الإلهام جاء ، ومن منابع التوليد المشبع بروح الفكرة خرج ، لا يستسلم للواقع بما فيه من نعيم ومغريات ومتع وملذات ، ولا يغرق فى المثالية وما تؤدى إليه من نزعات ونزغات ، وإنما هو فيض نفس حانية ، وإفرز إحساس ووجود .

لم أجد فى نفسى - حين بدأت القراءة - أى رغبة فى البحث عن تاريخ قصائد الديوان ، ولم أضق حينما ألفيتها عارية عن تاريخ نظمها قبل جمعها ونشرها ، لأنها تكاد تكون على درجة واحدة من القوة والسلاسة والشفافية ، وأقول - ولست مبالغا - إننى أحسست أن الشاعر لو أرسل إلينا مسودات قصائد الديوان ، حين أرسلها عفو القريحة من غير تنوق أو تنقيح أو احتفال بالصياغة الأسلوبية لوجدنا فى هذه المسودات جمالا لا يقل إن لم يزد عن جمالها بعد اطراد سلكها ، وإحكام سبكها .

ولا يخفى على كل ذى لب أن المعانى الشعرية قبل أن تستحيل إلى إيقاع وصور ، وجدان ينبض وإحساس يتنفس ، وعاطفة تختلج ، وتلك فى الحقيقة اللطيفة التى تدركها المعرفة ولا تحيط بها الصفة ، وبها يمتاز شاعر عن شاعر .

ولكى نشفع النظر بالتطبيق نعود إلى الديوان ، فصاحبه محروم وهو من " وحى الحرمان " وللشاعر فلسفة فى معنى الحرمان ، أفصح عنها فى مقدمته للديوان التى جعل عنوانها " أجل ... أنا محروم " يقول مخاطباً قارىء ديوانه : (أرجو أن تسمح لى أن أتفلسف قليلا فى معنى الحرمان .فالحرمان مرادف للشقاء أو بداية له ، أو هو دليل عليه ، والشقاء عكس السعادة) .

والسعادة ما هى ؟ وفى أى شيىء تكون ؟ هل هى فى المنصب والجاه ؟ أم هى فى الإمارة والوزارة ؟ أم هى فى الشباب والجمال ؟ أم هى فى الثروة والمال ؟ ! إن كانت كذلك فأنا سعيد كل السعادة .

ولكنك تعلم يا عزيزى القارىء أن السعادة ليست فى كل هذه الصفات والمميزات ، إن مقرها فى النفس ومنبعها من الإحساس .

فأنت سعيد إذا أحسست بالسعادة ، ولو فقدت كل أسبابها الظاهرة ، ومقوماتهاالمعبرة وأنت محروم من السعادة إذا فقدت الإحساس بها ، ولو اجتمعت لك كل مقوماتها واعتباراتها .

لماذا ؟ لأن إحساسك متأثر بعوامل أخرى من الألم أو الأسى تشغله وتستأثر به عن الشعور بالسعادة .

ولهذا وحده أنا محروم ، وتفسير ذلك سبق أن شرحته لك فى صدر هذه المقدمة .

فما الذى شرحه فى صدر المقدمة ؟ قبل أن أنتقل إليه أقول :

هذه الفلسفة من الشاعر فى معنى الحرمان تكشف عن أمور كثيرة :

أولها : الإشارة إلى قانون النسبة المتكافئة بين الخلق فى ميزان الخالق جل شأنه ، وأنه سبحانه لم يعط أحدا أكثر من أحد، وتفاوُتُ النِّسْبَةِ فى عطاءات المنعم ، والتفاتُ الناس إلى ظواهر هذه العطاءات ، وعدم الفطنة إلى ما سواها ، هو الذى يخلق فى نفوسهم معنى الشعور بالشقاء أو الحرمان ، ويجحدون فضل

المنعم ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ إبراهيم : ٣٤

فقد يعطى الله الإنسان مالا وجاها وسلطانا وعزا وعشيرة وأولادا ثم يسلبه نعمة الصحة فيفقد كل أسباب السعادة ، ويرى السعادة الحقيقية تاجا على رءوس الأصحاء حتى لو لم يعطوا سواها ، وفقدوا كل ما عداها .

فى حين يرى الأصحاء الأسباب الظاهرة من المال والولد والجاه والعشيرة وينسون نعمة الصحة التى منَّ الله بها عليهم فيحسبون أنفسهم ممن أصيبوا بالشقاء والحرمان وهكذا .

ثانيها : الإشارة إلى أن اهتمام الشاعر ببواعثه ، وتحقيق معنى وجوده الفعلى فى هذه الحياة أقوى من عنايته بغاياته ، وهذا المعنى إن وجد فى أى إنسان ، وتمكن منه تمكن العقيدة ، فإنه لا يعيش حياة واحدة ، وإنما يعيش مائة حياة ، ويحيا فى ضمير كل جيل ، ويتألق فى جبين كل عصر ، وبهذا وحده لا بغيره يحسب حساب الخلود .

فلم يشأ الشاعر ـ وقد توافرت لديه كل أسباب الغنى والجاه والثروة ـ أن يرضى بالقعود لأنه الطاعم الكاسى ، وأن يقر فى موضعه معتمدا على ما لديه من إمكانات وقدرات ، غير مستشرف إلى آفاق عليا من القيم الإنسانية ، والمثل الرفيعة، وكيف ؟ وقد وجد كل هذه المعانى السامية فى كنف جده وأبيه وأمه ، جدّه الذى قال عنه : (تربيت وترعرعت فى كنف جدى العظيم ـ الملك الراحل عبد العزيز ـ أمدا لم يزد على خمس سنوات تركت فى نفسى على قصرها أبلغ الآثار)

وأبيه الذى قال عنه : (كان أستاذى فى هذه المدرسة حيوية* والدى . والدى الذى كان أستاذا عظيما بكل ما فى العظمة معان ، ولا أقول هذا لأن هذا الأستاذ أبى ، فأطلق عليه هذا الوصف تحت تأثير الأبوة ، وانفعالا بها ، كلا والله فكثيرا ما حاولت أن أتجدد من هذه العاطفة لأحلّل شخصيته، فأخرج من كل هذه المحاولات وأنا مؤمن بأن أبى رجل مثالى عبقرى عظيم ، إذا كنت على شيىء من طيبة الخلق ، أو أننى أتمتع بميزات كما يقول بعض الناس عنى ، فالفضل الأول فيها لوالدى)

وأمه التى قال عنها : (تولت تربيتى والدتى ، التى كنت وحيدها فى هذه الحياة ، فكرّسَتْ كل جهودها ، ووقفت حياتها فى سبيل تنشئتى نشأة صالحة ، وحافظت علىَّ فى صدق وإيمان من الوقوع فى مهاوى الزلل ، وعلمتنى بحق أن من أنا ؟ غير منكية فىَّ الغرور ، ولكن لتعدنى لما يتطلبه وضعى فى المستقبل، ولتفهمنى أن علىَّ من الواجبات نصيبا أوفى من أى نصيب) [(١)] فهو إذن فرع فى شجرة ، وشجرة فى دوحة باسقة الأغصان، كثيرة الأفنان .

ثالثها : الإشارة إلى معنى السعادة الحقيقى ، وأنها لا تكون فى تلبية رغبات النفس ، وسد حاجاتها فذلك يعنى أنها تعيش لتأكل، وتُعطَى لترضى ، والنفوس الكبيرة ليست كذلك ، لأن رضاها وغضبها ، وفرحها وترحها ، وألمها وأملها فى أمور كثيرة إن فقدتها فقدت السعادة ، وهى بفقدها محرومة وإن وَجَدَتْ،

---

* النسب الصحيح لكلمة حياة "حيوى" وأما " حياتية " فهو من الأغلاط الشائعة الجارية على ألسنة الشعراء والأدباء .

(١) ٣٠٢٠ / ١

محرومة وإن نالت كل ما تمنت من الإمكانات والمقومات ، ودليل ذلك أنه كما قال عن نفسه ، وكما هو واقعه (أمير ، شاب فى مقتبل العمر، غنى ، وزير لوزارتين ، من أسرة حاكمة ، إلى غير ذلك من الصفات التى تمنع الحرمان وتقضى عليه) [٢] ثم يستدرك فيقول : (ولكن متى كان الظاهر كافيا للحكم على الأشياء، ورسم حقائقها وأوضاعها ، ومتى كانت الظواهر تعبر عن البواطن) [٣]

أمَّا ما شرحه الشاعر فى صدر مقدمته تفسيرا لحرمانه فهو يكشف عن صفحة فى بداية حياته كان لها أثر وُزِّعَ على أيام عُمُرِه فاستغرقها كلها ، ولم يكن لانقطاعها ، وتبدلها بصفحة أخرى جديدة أثر فى محوها من صدره ، واجتثاث معنى الحرمان من قلبه ، وأستطيع أن أقول : إن الصفحة الجديدة فى حياة الشاعر عَمَّقَتْ معنى الحرمان فى قلبه ، ووسَّعَتْ مفهومه ، ولئن كان يراه فى بداية حياته محصورا فى أمور مهما كثرت فهى محدودة إذا ما قيست بآمال صبى طموح ، فقد أصبح يراه فى كل شيىء ، يراه فى معاملة الناس له ، يراه فى تكريمهم لشخصه، يراه فى استجابتهم لأمره ، يراه فى تقديرهم وحبهم له ولما يتمتع به من ميزات كثيرة .

كل هذا العطاء من الناس بالإيجاب ينعكس على روح الشاعر عطاءً بالسلب ، وينقلب فى خواطره ومشاعره إلى الضد .

وذلك لا يعنى أنه ينكر حبهم ، أو أنه لا يبادلهم التكريم والتحية والتقدير ، فخلقه الطيب ومرباه الكريم ، يجعلانه يرد التحية بأحسن منها لا بمثلها .

وإنما يعنى الأثر الذى يحدثه الحب والتكريم والتقدير على حد وفكره ، وما يثيره من أسئلة كثيرة ، تجعله فى حيرة من أمره ، هل هو جدير بهذا الحب والتقدير ؟ وهل هو حب حقيقى ؟ أم غير حقيقى ، أم هو ضرب من الزيف والخداع ؟

والسبب فى ذلك أنه يعيش بقلب شاعر ماجد يضع نفسه دائما موضع المتهم المستراب فى أمره حتى لا يأخذها غرور السلطة ، ولا زهو الإمارة ، ولاتيه الوزارة ، ولا تتساق وراء كلمة مخادعة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .

وأنه لم ينظر يوما ما إلى المجد بأنه تحية وَرَدُّها ، أو كلمةُ وجوابها ، أو رواحُ للأمارة ، وَغُدُوّ للوزارة ، أو رفول فى رغد العيش ، واستمتاع بطيبات الحياة .

والنفس البشرية إذا صحَّتْ فطرتها ، عَمُرَتْ بالحب، وارتفعت إلى سماوات القداسة والطهر وهى من أجل ذلك فى حاجة إلى مراجعة كل ما يرد إليها ، ويدور بداخلها ، حتى لا تتغلب عليها الطبيعة الأرضية فتنحط إلى حمأتها المنتنة، ومواردها الآسنة .

وهى - أعنى النفس البشرية - فى حاجة إلى من يصحح لها طريقها ، ويردها إلى صوابها ، ويأخذ بيدها ، وينبه الحاسة الإيمانية فى وجدانها ، ومن ثَمَّ فهى لاترضى أن تكون دائما الآمرة الناهية المطاعة ، لأن الاستجابة لأمرها ، والانتهاء عن نهيها ، والسمع والطاعة الدائمين لها نوع من أنواع الحرمان بل هو أقسى أنواع الحرمان ، ولأن كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه ما عدا المعصوم صلى الله

وأنكر - والشيء بالشيء يذكر - أن يوم عرفات في سنة ١٤٠٣ هـ وافق يوم الجمعة وكان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قد حج هذا العام ، وكنت فيمن أدى فريضة الحج ، وفي خطاب لخادم الحرمين الشريفين بثته وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ذكر أنه وهو على عرفات ناداه أحد المرافقين له بقوله : ياصاحب الجلالة [1] فقال لمن ناداه : ياأخي كلنا لله عبد ، وصاحب الجلالة هو الله وحده ، ولست بصاحب الجلالة ، وإذا أجيز هذا النداء ففي غير هذا الوقت ، وهذا المكان .

هذه كلمة مؤمنة في الرد على لقب كان ينادى به ، ويصرح به في المجامع والمحافل الرسمية ، وهي في الوقت نفسه تدل على الخضوع والخشوع والذل لمن له الأمر كله ، وهي نوع من أنواع التربية للنفس ، وإشعارها بأنها مهما علت وسمت فهذا العلو والسمو أمانة ومسئولية يجب مراعاتهما والقيام بحقهما ، وأنها في النهاية ليست إلا كائنا منفعلا بقدرة الله الفاعلة ، والمحروم الحقيقي هو من حرم التعرف على نفسه ، وحيل بينه وبين الحقيقة التي خلق من أجلها ، وعاش في عزلة عن الله فحال الله بينه وبين قلبه (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) الأنفال : ٢٤ .

وتلقيب شاعرنا نفسه بهذا اللقب " محروم " حتى إنه أصبح يغني عن اسمه ، فإذا ذكر لا ينصرف الذهن إلا إليه ، وتسميته ديوانه " وحي الحرمان " وتدبيج غلاف الديوان بهما معا، وتصدير مقدمته للديوان بالحديث عنهما أمر له دلالته .

---

(١) كان ذلك قبل صدور المرسوم الملكي بتلقيبه خادم الحرمين الشريفين .

أما دلالته فى اللقب فهو أولا أن الحرمان الذى لاقاه ، مرارته وهو صبى قد حفر أخاديده فى أعماق قلب الشاعر ستطيع نسيانه أبدا .

وأن الحرمان الذى لاقاه ، وذاق مرارته بعد أن أصبح لوزارتين هو الذى استمر يطارده طوال حياته ، لأنه من كثيرة تلتقى وتصب فى النهاية عند نقطة واحدة ، وفى م واحد فهو إما حرمان من محبوبة تَغَنَّى بحبها ، وهام بج وتعانقت روحه وروحها ، ثم افترقا لأى سبب فلم ينعم أ بكوثر الوصال مرة أخرى .

وإما حرمان فرضته نفسه اليقظة الحذرة حتى لايخدع النفعيين والمنافقين من الحاشية أو البطانة ، الذين لو ان خداعاتهم ، وصحت شراكاتهم وحيلهم لعاش حياة كلها حر مهما حفلت بعد ذلك بفنون الأساليب ، وشتى الألوان .

وإما حرمان من الصراحة التى جعلته يشك فى نفسه شك فيمن يعتقد أنه أقرب الناس منه ، بل بَضْعَة منه ، يس يسعده ، ويؤذيه ما يؤذيه ، فيقول تحت عنوان " عواط حائرة " (١).

أكاد أشك فى نفسى لأنى   أكاد أشك فيك وأنت

يقول الناس إنك خنت عهدى   ولم تحفظ هواى ولم ت

وأنت مناى أجمعها مَشَتْ بى   إليك خطى الشباب الم

---

(١) وع

وقد كاد الشباب لغير عَوْدٍ ... يُولّى عن فتًى فى غير أمن

وها أنا فاتنى القدرُ الموالى ... بأحلام الشباب ولم يفتنى

كأن صباى قد رُدّتْ رؤاه ... على جفنى المسهّد أو كأنى

يكذب فيك كل الناس قلبى ... وتسمع فيك كل الناس أذنى

وكم طافت علىّ ظلال شك ... أقضت مضجعى واستعبدتنى

كأنى طاف بى ركب الليالى ... يحدث عنك فى الدنيا وعنى

على أنى أغالط فيك سمعى ... وتبصر فيك غيْرَ الشك عينى

وما أنا بالمصدق فيك قولا ... ولكنى شقيت بحسن ظنى

وبى مما يساورنى كثير ... من الشجن المؤرّقِ لا تدعنى

تُعذّب فى لهيب الشك روحى ... وتشقى بالظنون وبالتمنى

أجبنى إذْ سألتك هل صحيح ... حديثُ الناس خُنْتَ ؟ ألم تخنى

وهذه القصيدة غنتها السيدة " أم كلثوم " فأضافت إلى موسيقى شعرها التى تطرب الأسماع ، وتهز القلوب ، وإلى أسلوبها المكثف الدلالات فى إيجاز يصل إلى حد الإعجاز ، وإلى قافيتها المنتهية بالكسرة التى تشير فى جُلّ الأبيات إلى ضمير المتكلم الذى يشير إلى القلب الكسير ، والروح الأسير ، وإلى نصها الذى يحتاج وحده إلى دراسة كاملة تكشف عن فن التركيب فى الأسلوب، أضافت معانى كثيرة بصوتها الجميل المعبر، وماصحبه من موسيقى تصويرية ، وبلاغة فنية تأثيرية

وأما دلالته فى عنوان الديوان فهو يعنى أن هذا الحرمان تحول فى نفس الشاعر الكبيرة إلى الضد كما تتحول السموم الناقعات إلى دواء يشفى ، ومصل يقى .

وشأن المحروم كما هو معلوم أن يحقد على من أعطى ما حُرِمَه ، وتمتع بما مُنِعَه ، أو يَسقِىَ غيره - إذا تمكن - من الكأس التى شرب منها .

ولكن الحرمان عند شاعرنا ولدحبا وعطاء ، ووضوحا وصفاء ، وجلالا وجمالا ، ورقة وخيالا وإذا عرفنا أن الشعر شقيق الشعور لفظا ومعنى ، وأنه - متى توافر له الصدق النفسى - قطعة من نفس قائله ، وفيض من وجدانه .

وأنه (بالشعر تتكلم الطبيعة فى النفس ، وتتكلم النفس للحقيقة، وتأتى الحقيقة فى أظرف أشكالها ، وأجمل معارضها ، أى فى البيان الذى تصنعه هذه النفس الملهمة ، حين تتلقى النور من كل ماحولها ، وتعكسه فى صناعة نورانية متموجة بالألوان فى المعانى والكلمات والأنغام) [١] .

إذا عرفنا كل هذا أدركنا مدى ماأودعه الشاعر فى قصائده التى هى وعاء مشاعره وأحاسيسه من حب ، ومن معان إنسانية رفيعة .

صحيح أنها تمثل فى بعضها نوعا من القلق الذى كان يَسُوْدُ حياة الشاعر ، وتكشف عن الشعور بالحيرة ، والإحساس بالحرمان ، وتحوّلُ فى بعضها الآخر ذكريات الشاعر الحلوة ،

---

(١) وحى القلم - ٢٣٥/٣ .

ورحيقها الصافى إلى حرائق مشتعلة ، وتحيل قوته إلى ضعف، وصلابته إلى لين ، ولكنها فى النهاية لاتفضى به إلى السأم أو الملل أو التشاؤم أو البغض والكراهية ، لأنها لذة الحرمان كما قال التى تجعل للألم معنى ليس فى الأمل ، وللضعف معنى ليس فى القوة ، وللذل معنى ليس فى العز وللتصميم والعناد معنى ليس فى اليأس والتسليم .

هذا والملاحظ أن لحديث الذكريات النصيب الأوفى فى قصائد الديوان ، والقصيدةُ الواحدة قد تجمع بين القلق والحيرة والإحساس بالحرمان وبين حريق رحيق الذكريات وبينهما وبين الضعف المتوسل ، واللين الناعم المسترسل ، وبينها كلها وبين التصميم على الظفر ولو بنظرة أو لفتة أو كلمة أو بسمة ، ففى قصيدته التى عنوانها " لوعة " [1] يقول :

ألاقى من عذابكَ ما ألاقى ... وحبك فى حنايا القلب باق

وتسرفُ فى الصدور وفى التجنى ... وأسرف فى التياعى وفى اشتياقى

ولو يدرى فؤادُكَ ما أعانى ... وما ألقاه من ألم الفراق

لما أمعنتَ فى هذا التجافى ... ولا أذْلَلْتَ من دمعى المراق

ولكنى كتمتك هول ما بى ... وما زال التجلد من خلاقى

فلو زعم العوازل بى سُلُوًّا ... فكل حديثهم محض اختلاق

وما أبدى لهم غير التأسّى ... وإن كانت ضلوعى فى احتراق

---

(١) وحى الحرمان – صـ ١٠٢ وما بعدها .

حسبوا عنائى جدّ طلق	وقلبى جدُّ مشدودُ الوَثاق
لشى أن يقال صريع شوق	يلاقى فى المحبة ما يلاقى
أغرق فى ظلام الليل يأسى	فأغرقُ فى اصطباحى واغتباقى
وأنهل من لمى ذكراكَ عَذْبا	أعلُّ به ووهمُ رضاك ساق
ويبسط لى الخيال ظلال أنسٍ	أعيش بها إلى يوم التلاقى
أعيذك أن تعينَ علىَّ سُقْمى	معونتك الدموعَ على المآقى

وفى قصيدة " هل تذكرين " يقول : (١).

هل تذكرين وداعبنا مصافحة	أوْدَعْتِ فيها كريم الأصل يُمْنَاك
لو تذكرين بوادى وَجَّ وقفتنا	وقد أفاضت علينا الطهرَ عيناك
وحين غَنَّتْ على الأغصان شادية	أنشودة الحب فى ترديدها الباك
أنت الحياة لقلب جدِّ مكتئب	وليس يسعده بالوصل إلا
ماذا يضيرك لو حققت أمنيتى	فيسعد القلب ـ من شوق ـ لرؤ
ففيك للقلب أهواء مجمعة	وفى لقائك دنيا الشاعر الش
أقصى أمانى لو تبدين باسمة	أستلهم الشعر من باهى مح
دنياى نار من الهجران محرقة	إذا نأيت ، وروض حين ألق

---

(١) السابق – صـ ٢١ .	(٢) وحى الحرمان – صـ ١٣٨ وما بعدها .

فإن نسيت ودادا كان يجمعنا على العفاف فقلبى ليس ينساك

والذكريات إذا ما عَزّ قُربك لى سلوى فؤاد على الأيام يهواك

وفى قصيدة " سؤال " نجد الشاعر يلجأ إلى تنويع القوافى، وتنويع المقطوعات التى تشكلها ، مع الاحتفاظ للبناء الفنى بموسيقاه من غير أى خلخلة ، وذلك يدل على مدى قدرته على التحكم فى طاقته الشعرية ، وإيرادها على النحو الذى يحقق لمعانيه قوة التوصيل لإحساسه ومراده وفيها يسأل ، ويستحلف، ويشكو ، ويتوسل ، ويكتفى بأقل القليل بلفظه منها تمحو خيالاته وشكه فيقول : (٢)

كلما لاح رضاك فى التدانى

خلتُنى أنى فتاك أترانى ...؟

خبرينى وهواك عن مكانى

كل ما أرجوه ياليلاى منك

لفظة تمحو خيالاتى وشكى

اسكبى فى مسمعى ألحان حبك

واكشفى لى لحظة مكنون قلبك

لا تطيلى حيرة الصب بربك

فلعل القلب أن يهنا بقربك

لو علمت ما ألاقى فى غرامى

من سهاد واشتياق وسقام

وجوًى فى الصدر باق من ضرام

كل إلف قد تهنًا وغرامه

غير قلبى لم يزل يشكو هيامه

يا ترى هل آن أن ينعم بالى

بعدما لا قيت فى تلك الليالى

من صدود وجفاء ودلال

أم تُرى الآتى كأيامى الخوالى ؟

كلما لاح رضاك فى التدانى

خلتنى أنى فتاك أترانى ...؟

خبرينى وهواك عن مكانى

بقى سؤال وددتُ الإجابة عنه قبل الانتهاء من هذه الجولة فى ديوان " وحى الحرمان " هذا السؤال هو : لماذا كان لحديث الذكريات النصيبُ الأوفى من قصائد الديوان ؟ ولماذا قلت قصائد أيام الوصل والسعادة ؟ وللإجابة عن ذلك أقول :

إن السبب فى تصورى مرده إلى الطبيعة الإنسانية حين تظفر بمن تحب ، أو تفارقه لأى سبب من الأسباب .

فإذا ظفرتْ بمن تحب وجدت فيه صورة حية من أوصاف بارعة فى عالم الجمال ، صورة ترتفع وتسمو بالحب إلى شكل السماوى ، وتتأى بالحبيب عن عالم الكنايات والمجازات والاستعارات .

وإذا فارقت الحبيب لأى سبب بأن ساءت العلاقة بينهما ودبت روح القطيعة والتمزق فى حبهما فإنها تراه لحنا من الجمال، وطيفا يقطع كل تفكير فى غيره ، ويمازج الأحلام فى اليقظة والمنام .

ومن ثَمَّ ترتفع فوق الواقع ، وتحاول وصل ما انقطع وإصلاح ما فسد ، وسبيلها إلى ذلك :

استعطاف الحبيب المتمنع ، وبثه رواجف الصدر، وأشواق الروح علَّهُ يرق ويلين ، ولو أدى ذلك إلى إعادة المعانى مرات ومرات ، واستخدام كل الأشكال الفنية فى التعبير عن معاناة النفس وأناتها ولَسْتِعْطا فُ يَهَبُ وَصْلاً واقترابا خير ألف مرة من أنفة تتفح وحشة واغترابا وعذابا ، وكثيرا ما أجدى الاستعطاف ونجحت سفارته ، ومن قلب العاشق الوامق ، وتيه الحبيب ودلاله يكون عالم الشعر الجميل .